الحكمة من دفن الموتى

الحكمة من دفن الموتى

تأليف

د/ سالم وطوان العبدلات

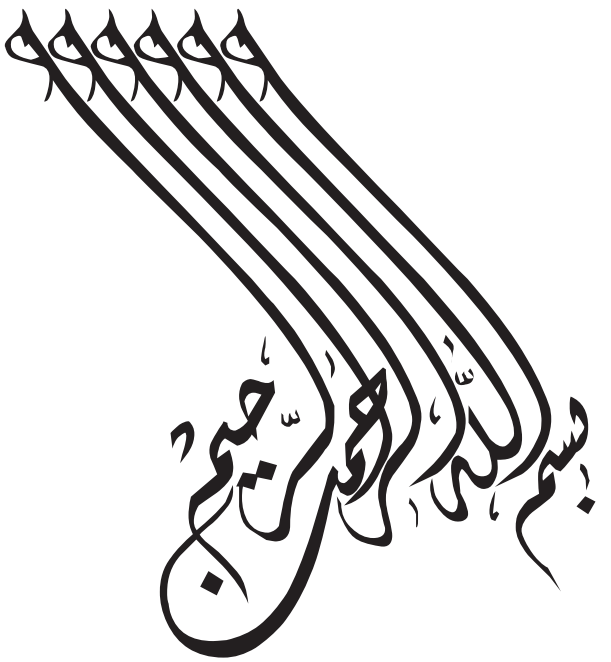
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد الله كتب على نفسه البقاء، وحكم على الخلق بالفناء، فقال في كتابه ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1]، والصلاة والسلام على خير الأنام، أحبّ لقاء الملك العلام الذي خيّر

(١) القصص: ٨٨.

بين خزائن الأرض والخلد فيها، وبين لقاء ربه فاختار لقاء ربه.

أما بعد،،،

فإن الموت نهايةُ كل حيّ، وانقطاع كل أمل، فقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾[1]، فمهما تجاهلناه أو تغافلناه فلن نفلت منه، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ﴾[2]، فإذا جاء

(١) آل عمران: ١٨٥.

(٢) الجمعة: ٨.

الأجل انتقلنا من هذه الدار إلى دار البرزخ دار الفتنة والعبور فإما نعيم وإما شقاء.

ولقد كرم الله ﷻ الإنسان حيا وميتا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[1]، ومن تكريم الله سبحانه للإنسان دفنه في الأرض قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾[2].

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) عبس: ٢١.

وقد أجمع المسلمون على أنّ دفن الميت، ومواراة بدنه فرض كفاية [١]، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾ [٢].

وفي هذه الورقات سأحاول بيان الحِكم الكبيرة من دفن الأموات في الأرض؛ وذلك تنبيها للغافلين،

(١) المجموع شرح المهذب للنووي، ٥ / ٢٨٢، حاشية رد المختار، ٦ / ٣٦٦، الإقناع في فقه الإمام أحمد للحجاوي، ١ / ٢١٣.

(٢) المرسلات: ٢٥ - ٢٦.

وتعليما للجاهلين، والله المستعان وعليه التكلان.

د. سالم قطوان العبدان

Salem1044@hotmail.com

الحكمة من دفن الموتى

- **دلت الآيات والأحاديث الواردة في حِكمة دفن الموتى في القبور على عدة حِكم منها :**

١- حصول الدعاء للموتى مجتمعين من زائريهم، فقد ثبت أن النبي ﷺ كان إذا زار قبور أصحابه دعا لهم وترحم عليهم واستغفر لهم، وعلّم أصحابه أن يقولوا إذا زاروا القبور : «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا

إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»[١].

٢- البقاء على الجنس الإنساني من الصعق بسبب هول العذاب الذي يجده العصاة والكفرة في القبور. قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾[٢]، قال البراء نزلت في عذاب القبر[٣]. وقال سبحانه

(١) رواه مسلم، رقم (١٢٦).
(٢) ابراهيم: ٢٧.
(٣) البخاري، رقم (١٢٨٠)؛ ومسلم (٥١١٧).

وتعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ (١)، ذكر البراء بن عازب ومجاهد أنّ الأدنى هو عذاب القبر (٢).

والظاهر أن الله تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك وستره عنهم إبقاء عليهم لئلا يتدافنوا وليست للجوارح الدنيوية قدرة على إدراك أمور الملكوت إلا

(١) السجدة: ٢١.

(٢) تفسير ابن كثير ٦ / ٣٦٩؛ وتفسير القرطبي، ١٤ / ١٠٧.

من شاء الله[١]. وثبت في الصحيح أنه ﷺ قال: إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت قدموني، وإن كانت غير صالحه قالت لأهلها يا ويلها أين يذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصعق[٢]»، «قال الحافظ ابن حجر (يسمع صوتها كلّ شي) دلّ على أن ذلك بلسان القال

(١) فتح الباري لابن حجر ٤ / ٤٤٦.
(٢) رواه البخاري، رقم (١٢٣٣).

لا بلسان الحال [١].

(الصعق) أي : يغشى عليه من شدة ما يسمعه، وربما أطلق ذلك على الموت. وقد ذكر ابن علان أن هذا أبلغ في حكمة منع إسماع الصوت لإفضائه إلى فساد العالم[٢]».

وقد ثبت أن الكافر يُضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح

(١) فتح الباري ٣/ ٢٣٨ .
(٢) دليل الفالحين لابن علان، ٣ / ٣٨٢.

صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين[١]»
وفي حديث البراء «يسمعه من بين المشرق والمغرب [٢]» وعند الإمام أحمد «يسمعه خلق الله كلُهم غيرُ الثقلين[٣]»، يعني إلا الإنس والجن ؛ لأنهم لو علموا ما يجري

(١) رواه البخاري، (١٢٨٥)، ومسلم، رقم (٥١١٥).
(٢) رواه ابو داود، رقم (٤١٢٧)، والنسائي، رقم (٢٠٠)، وابن ماجه، رقم (١٥٤٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٧٥٣).
(٣) رواه الإمام أحمد، رقم (١١٠٠)، وأورده الهيثمي في المجمع، وقال رواه أحمد والبزار، ورجاله رجال الصحيح.

في القبور لتغير حالهم، وهذا مشاهد في الدنيا، فإن الناس إذا كان عندهم مريض يتألم ويئن بالتألم فإنهم لا يهدؤون، ولا يرتاحون ولا يستسيغون أكل الطعام، وهم يحسون بالتألم الذي يحصل لذلك الإنسان بسبب شدة المرض الذي أصابه. فكيف بحصول عذاب القبر[١] ! وقد ثبت من حديث ابن مسعود رضي الله عنه : «أنّ الموتى لَيعذبون

(١) شرح سنن أبي داود للشيخ عبد المحسن العباد، ١ / ٢.

في قبورهم حتى إِن البهائم لتسمع أصواتهم[١] فدلّ على سمع البهائم لتعذيب الأموات. وأما الصيحة التي يصيحها المضروب فإنها غير مألوفة للإنس والجن جميعاً لكون سببها عذاب الله ولا شيء أشد منه على كل مكلف فاشترك فيه الجن والإنس، وإنما اختص الإنسان بذلك إبقاء عليه[٢].

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٤٩) وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد، ١/ ٤٧٥ .

(٢) ابن حجر، الفتح، ٣/ ٢٣٩، بتصرف يسير.

وإن من حكمة الله تعالى أنه لم يسمِعنا عذاب القبر : هو خشية أن تفضي أسماعنا إلى عذاب القبر إلى ترك أن يدفن بعضنا بعضاً[١]. ففي صحيح مسلم قال (ﷺ) : «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر»[٢] قال الأُبي في شرحه صحيح مسلم[٣]: «منع السماع أن لا

(١) سنن النسائي بشرح السيوطي، ٤/ ٤٩

(٢) مسلم، رقم (٥١١٣)

(٣) شرح مسلم للأبي المالكي، ط.دار الكتاب العلمية، ٧/ ٢٣٢

يتدافنوا يحتمل أنه لغلبة الخوف فلا يقدر على قرب القبر للدفن، ويحتمل أنه لوقوع الهلاك إذ لا يطاق سماع عذاب الآخرة في الدنيا لضعف بنية أهلها وقد هلك كثير عند سماع صوت الرعد والزلازل، وأين ذلك من سماع صيحة الذي يضربه الملكان بمطارق الحديد التي يسمعها من يليه إلا الثقلين وقال فيها (ﷺ) : «يسمعه ما بين المشرق والمغرب»[١].

(١) سبق إخراجه، ص ١٦ .

٣- متابعة أن النبي (ﷺ) والصحابة : قال ابن قدامه : ولم يزل الصحابة والتابعون ومن بعدهم يقبرون في الصحاري فإنْ قيل فالنبي عليه الصلاة والسلام دُفن في بيته، وقُبر صاحباه معه ؟

قلنا : قالت عائشة : «إنما فعل ذلك لئلا يتخذ قبره مسجداً»(١) ولأن النبي (ﷺ) كان يدفن أصحابه في البقيع، وفعله أولى من فعل

(١) رواه البخاري، رقم (١٢٤٤)، ومسلم رقم (٨٢٣).

غيره، وإنما أصحابه رأوا تخصيصه بذلك، قال أبو بكر رضي الله عنه سَمِعتُ من رسول الله ﷺ شيئًا ما نسيته، قال: ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه. ادفنوه في موضع فراشه»[(١)]، وصيانة له عن كثرة الطُرّاق، وتمييزاً له عن غيره»[(٢)].

٤- ومن الحِكَم التي ذكرها العلماء في ذلك أنه بهذا الدفن في

(١) رواه الترمذي رقم (١٠١٨)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم (٨١٢).
(٢) المغني، ٣/ ٤٤١.

القبور يكون أقل ضرراً على الأحياء مِن ورثته، وأشبه بمساكن الآخرة وأكثر للدعاء لهم والترحم عليهم وتكريماً لهم وعدم امتهانهم بمعرفة مواضعهم.

٥- ولأن تركه على وجه الأرض هتكاً لحرمته، ويتأذّي الناس منه بانتشار رائحته واستقذار جيفته وأكل السباع له. قال الفرّاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١﴾[1]: أي

(١) عبس (٢١).

جعله مقبوراً ممن يقبر لهم ولم يجعله ممن يلقى للطير والسباع، كأن القبر ممن أكرم به المسلم»[١] والأصل فيه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾[٢].

قال الشعبي: «بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحيائكم»[٣].

وقد أخذ الإنسان الدفن وتعلمه من الغراب، عندما رآه يدفن بعضُهم بعضا.

(١) لسان العرب، ١١/ ١٠.

(٢) المرسلات (٢٥)

(٣) تفسير ابن كثير، ٨/ ٢٩٨.

قال سبحانه حاكياً ذلك لمّا قَتَلَ قَابيلُ هابيلُ وتركه بالعراء استخفافاً به فبعث الله غرابين فقتل أحدهما صاحبه فحفر له ثم حثا عليه[١]، قلما رآه قال: ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾[٢].

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٢٢٤)، التذكرة للقرطبي، ١/ ١١٨

(٢) المائدة: ٣١

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
المقدمة	٥
حصول الدعاء للموتى	١١
البقاء على الجنس الإنساني ...	١٢
متابعة النبي ﷺ	٢١
أقل ضررا على الأحياء	٢٣
ممن تعلم الإنسان الدفن	٢٥

تم الإخراج بشركة غراس للطباعة والنشر والتوزيع
- هاتف ٢٤٨١٩٠٣٧ - فاكس ٢٤٨٣٨٤٩٥
بدالة المطبوعات 24810010 - الكويت